مدرسة الفن الغنائي الجنوبي الأصيل الموسيقار الكبير " فضل محمد اللَّحجِي " ..

نصف قرن من الفراق و التجاهل المتعمد لأسرته

عدن ((الأمناء)) عيدروس زكي :

((هَل أعجَبَك يُوم فِي شعرِي غَزِير المَعانِي ؟ !
وَ ذُقت تَرتِيل آيَاتِي و شَاقَك بَيَانِي ؟ !
و هَـل تَأَمَّلت يَا " لَحجِي " كِتَاب الأَغَانِي ؟ !
وَ لا أَنَا قَـطْ " صَنعانِي " و لَا " أَصفَهَانِي "
هَل أَسـمَعَك " فَضْل " يَومَاً فِي الغِنَاء مَا أَغَانِي ؟ !
و كَيف صَـاد المَهَا قَلبِي ؟ ! . . و مَاذَا دَهَانِي ؟ !
و أَنتَ بِالعُود تَتْهَنَّأ و طَعم المَثَانِي فَهَل دَعَاك الهَـوَى يَومَاً كَما قَد دَعَانِي ؟ !)) .

هَكـذا نظمها ، قبل نحو قرنٍ من وقتنا هـذا ، صوغاً مُخمَليَّـاً مُطرَّزاً بالذهب أمـير الغِناء اللَّحجِي ، و أمير " السلطنة ــ الدَّوْلَة " الأثيرَة بأركانها المتينة الأمير " أحمد بن فضل بن علي بن محسن العَبْدَلي " ، " القُوْمندَان " ، أروعها كلـمات و أبدعها ألحَان ، و قَدَّمَهَـا " القُوْمندَان " ، إلى محضون كنفه فَنيَّاً الفنانَ الموسـيقار المطرب الكبير الأَلمَعي " فضل محمد اللحجي " ، ليشـدو بها هزاراً بُلبُليَّاً فنَّاً أصيلاً بالصوت السَّاحِر لحنجرَته الألماسية الاستثنائية الخلاَّقة العبقريَّة ، عقب أن خَصَّه أسـتاذه و مربيه صغيراً و " أبيـه الرُّوحِي " ، مُخلِـداً فيها ذكر اسمه بحروف النُّور المُتوَهِّجَة المتلألئة المُضيئَـة بديمومة الدُّهُـور في أحَد صدُور أبياتها . بقوله : ((هَل أَسمَعَك " فَضل " يَومَاً فِي الغِنَاء مَا أَغَانِي ؟ !)) . و كان حقاً " فَضلنا " خَلَفاً وَفيَّاً أميناً لها ، و شَنَّف بها آذان سَامعيهَ ، في ربوع الجنوب العربي ، و الأقطار العربية قاطبـة ، و بلدان العالم كافة ، مُبْرِزاً لها الرسـالة السامية الصَّلبَة المُتجَـذِّرَة في أعماق الأغـوار للفَن الغنائي الجنـوبي اللَّحجِي و أقعارها العُليَـا ، و من بعـده قَلَّدت " فضل " الأجيال الفنيَّة المتواتـرة ، ناهلة من معين زلال ألحانه السلسالة السائغة . . كما طوَّر " فضل " ، من مدرسـة " القومنـدان " الفنيَّة ، مُحافظاً على رونقها البهي الرَّاسخ صرحها البنياني القويم ، متحدياً أعتى خطوب الأزمنة و متغيراتها الوجودية . . و ملأ الفنان " المدرسـة " الفريدة المستقلة بذاتها " فضل محمد اللَّحجِي " ، الأسـماع و الأصقـاع و الأبصَـار و البصائر ، بأعذب ألحانه الشجيَّة لشعراء الأغنية اللَّحجيَّة الشهيرونَ ، نَاقشاً جماليات التَّرَانِيـم الصَّدَّاحَة المُزخرَفَة التي لم و لن يضاهيها نظير حتى اللحظة هذه ، و إلى زوال الخليقـة كلها . . فمثلما لَحَّن لـ " القومنـدان " ، لَحَّن أيضاً أروع قصائد الشعراء الكبَار من إلصف الأمامي الصداري المهـاري اللَّحجِي الأوَّل ، صانعاً لمقطوعاتهم الشِّـعريَّة أجود مئات الألحـان التراثية المُتميِّزَة الرَّقراقَة البرَّاقَة الرَّائقة و أسناها لكل العصور و حقبها .

أسرة ((اللحجي)) و حياته و وفاته

العام 1340 هـ المُوَافِق للعام 1922 م ، شَـهدَا معاً ميلاد الفنـان النَّابغَة القِيثاريَ الأسـطورة " فضل محمد اللحجـي " ، بمدينة الحوطة عاصمة محافظة لحج ، لـ " أسرة فقيرة " و لـ " أم لحجيَّة " تُدعَى " زَمزَم بنت عَوَض " ، و مِنْ أبٍ يُدعَـى " محمد عبد الله السَّالمي اللحجي " ، الذي نفسه عَلَّمَ " فَضَلَ " ، " أَلِف باء " العَزف على آلة العود . . و " فضل " ذاته ، تَزَوَّج أربع من النساء ، في مُدَد زمانية متفاوتة من حياتـه ، و اثنتان منهن أنجبتا له أولاده الذكور الثلاثة فحسب . . و هم : الأول " أحمد " ، الـذي ــ حالياً ــ يعيش مُسـتَقرَّاً في المملكة العربية السـعودية الشَّـقيقة ، مع أسرته و لديه ابنتان ، و الثاني " عبد الكريم " ، الذي كان مُقيماً بمحافظة الحديدة اليمنية لأعوام طوال ، ثم تَوَفاه الله ، و فيها دُفن و قُبر في شـهر رمضان " المُبَارَك " 1435 هـ المُوَاكب لشـهر يوليو " تَمُوز " 2014 م ، و لم يَتَزَوَّج في دنياه ، و هُـمَا ولديه من زوجته الأولى : " فَطُوم بنت أحمد حسـن " ، و ثالث أبنائه و آخرهم " أسعد فضل محمد اللحجي " ، الذي يَقطن ــ الآن ــ في حي النَّخَـارَة بمدينة الحوطة بمحافظـة لحـج ، و الـذي تُوُفيَت والدته الفاضلـة : " صَفيَّة بنت عبد الله علي الحُبَيـشي " ، يَرحمها الله و يُطَيِّب ثراها ، في مسـقط رأسها منطقـة اللصَّـاب بمديريـة مَاوِيَة بمحافظة تعـز ، في العام 1424 هـ المماثل للعام 2003 م ، و هي الزَّوجة الرَّابعَة و الأخيرة للفنان " فضل محمد اللحجـي " . . و لقد كانت مصيبة فن الغناءَ الرَّصين العريق للجنوب العربي عظمى ، برَحيله و خسارته له فادحة مكلومة لكل أبنـاء الوطن و الأقطار العربيـة و بلدان العـالم بأسره الذي أمتعـه بألحانه الطروبة و صوت فنه المتأصِّل السلسـبيل العذب المتسَـيِّد للساحة الغنائية الشعبية دولياً و غير المنافس له من شـبيه البتَّة ، و لأشدِ الصَّدمَة المُضاعَفة ، كان رحيله مَقتُولاً على حـين غِرَّة غـادِرة ، صباح يوم الجمعة 24 شَوَّال " المُكرَّم " 1386 هـ المُصادِف 3 فبراير " شُبَاط " 1967 م ، متأثِّراً بجراحه ، التي ألحقها بها أحد المجهولين ، حينما كان " فضل " ، في مسـكنه بمدينة المنصورة بالعاصمة عدن ، في حوالي السـاعة السادسة من مساء يوم الأحد 19 شوَّال " المُكرَّم " 1386 هـ المطابق 29 يناير " كانون الثاني " 1967 م ، و تم إسـعافه إلى مستشـفى مَلكة بريطانيا الصديقة " إليزابيث الثانيَة أليكسـندرا ماري " ، أي هيئة مستشـفى " الجمهورية " العام النموذجي ، بمدينة خور مكسر بالعاصمـة عدن ــ حاليـا ــ و تُرك فيها مُهْمَلاً ــ وقتـذاك ــ من دوَن عمـل له أي عناية مُركَـزَّة ، ثم جرى نقل جثمانه و دفنه في مقبرة منطقة الرِّبَـاط بمدينـة الحوطة بمحافظة لحج ، بعد إلقـاء أهله و محبوه عليه النَّظرَة الأخيرة لوداعه .

مكانة مرموقة و جحود مُكَرَّس

و رغم الرَّصيـد الوطني النضالي الفني الضَّخـم للفنان الكبير " فضل محمد اللحجي " ، الـذي قدمه لبلده الجنوبي هذا ، إلَّا أنـه و أفراد أسرته الأطيـاب قوبلوا أجمعيـن بالنكران و جحـوده المُكـرَّس و ثُبِّطـت من معنوياتهـم ، و تجاهلتهم إنسـانيَّاً قيادات الدولة المتعاقبة و حكوماتها و وزراء ثقافتهـا ، و محافظوهـا المتتابعـون في العاصمـة عـدن و محافظة لحج ، و آثـرت أسرة فناننا الكبـير " فضل " ، عـلى العيش في الظل مـن دون أي صخب أو ضوضاء و الانزواء بهدوء و سـلام و سكينة ، بالرغم من معاناة المعيشـة و قساوة الزمـان الرَّاهن . . فها هو ذا ، في هذا الأوان ، إبنه الأسـتاذ " أسـعد فضل محمد اللحجـي " ، المولود في العام 1385 هـ المُوَافق للعـام 1966 م ، لم يُحالفه الحـظ بالظفر بالوظيفة العامة المشروعة أساسـاً في جهاز الدولـة الإداري ، و هو يبلغ ، في هذه الأثناء ، الـ " 51 " عاماً من العُمر ، و المُتزَوِّج و المسؤول عن تربية و تنشئة " 6 " من أبنائه فلذات أكباده الأبرياء ، إذ لديه من البنين : الشاب " رائد " ، " 21 " عامـاً ، و الفتَى " فضل " ، " 16 " عاماً ، و أربع من البنات . . و الفنان الرَّاحل " فضـل محمد اللحجي " ، لم يُبَجَّل من الدولة الرَّسـميَّة و أجهزتها المعنيـة ، و لم يُمنح مَنهـا التكريم الأحق المُشرِف اللائق بمكانته المرموقة العُليَا جِدَّاً ، على مستويات ألوان الفن الغنائي الجنوبي العتيـق ، و أسرته بدورهـا لم تتمكَّن من حوز حقوقها الفكرية الأدبية الأخلاقية المادية و لو بالنزر اليسير من الرعاية و الاهتمام . و يقول نجل الفنان " فضل محمد اللحجي " ، الأستاذ " أسعد " ، لكاتب هذه السطور " عيدروس زكي " . . في هذا الخصوص : ((لقـد تم تجاهلنا تماماً نحن أسرة والدي الغالي الفنان الكبير المَفخَرَة " فضل محمد اللحجي " ، يرحمـه الله و يُطيِّـب ثراه ، من قيادة الدولـة العليا ، و وزارة الثقافة ، و العاصمـة عدن ، و محافظة لحج ، في كل المراحـل السياسـية التـي تواصلـت سلاسـلها ببعضها بعضاً في البلد ، و أنـا الآن " علي باب الله سبحانه و تعالى " ، ليس لَدَيَّ مصدر دخل خاص أسـاس ثابت ، و لا أملك وظيفة رسـمية في العمل الحكومي حتى أؤَدِّي التزامـاتي المادية التامة اتجـاه أسرتي بكل يسر و سـهولة ، و تأمـين حاضر أبنـائي الصغار الـ " 6 " الأنقيـاء و ضمان نجاح أجواء مسـتقبلهم القادم بإذنـه عزَّ و جل ، و ذلك أسوة بأمثال أبنـاء بقية أقران عهد والدي المبدعـين المطربين من الأعلام المَرفرِفَة و الرَّايَات المَخضرمَة الكبرى في الوطن ، و والدي نفسه و بمنزلته البَاسـقة و اسمه العالمي اللَّامع ، لم يتحَصَّل على أدنى ذكر مَن حكَومات الدولـة المتلاحقة ، غـير منح والدي الفنان الطَوْد " فضل محمد اللحجي " ، الإعانة المَاليَّة الشهريَّة الزَّهيدَة ، التي لا تستحق الذكر و لا تتجاوَز مبلغ الـ " 15 " ألف ريـال يمني ليس غير ! ! ؟ ، و التي اعتمدها له ــ مشـكوراً ــ معالي الأخ الأسـتاذ خالد عبد الله الرُّويشَان ، وزير الثقافة الأسبق ، في العـام 2004 م ، و جرى قطعها منذ اجتياح مدينة صنعاء ، من الانقلابيين ، في 21 سـبتمبر " أيلول " 2014 م ، إلى يومنا هذا ، و بشـأني أنا ابنه " أسـعد " ، فلقد اعتمد لي ــ مشكوراً ــ معالي الأخ الدكتور عبد الله عوبل منذوق ، وزير الثقافة الأسـبق ، عقد عمل ، منذ شـهر أبريل " نيسـان " 2012 م ، بوظيفـة متعاقـد بمكتب وزارة الثقافـة بمحافظـة الضَّالع ، براتب شهري ضئيل جداً كذلك مقداره " 15 " ألف ريال يمنـي فقط ! ! ؟ ؟ ، بعد رفض المدير العام السابق لمكتب وزارة الثقافة بمحافظة لحج ، قبولي متعاقـداً لدى المكتب ! ! ؟ ؟ ، و لم يتم اتخاذ الإجـراءات اللازمَة على تثبيتي بالوظيفَة رسميَّاً في العمل ، و أيضاً جرى إيقاف صرف رَاتبي منذ اكتساح صنعاء ، حتى الحين الجَاري هذا)) .

نجله (أسعد) :
نناشد وزير الثقافة و محافظي عدن و لحج منح والدي درجة (وزير) و إعادة صرف إعانته المالية

درجة ((وزير)) و توظيف ((أسعد))

و أردف الأسـتاذ " أسـعد فضل محمد اللَّحجـي " ، مُطَالبَـاً أنحية انفرَاد القرارات السِّـيادية السياسية وَ الوزاريـة و التنفيذيـة و المحلية في الدولة الالتفات عـلى الفور إلى الأحوال السيئة لأسرتهم . . قائلا : ((إنني أنتهزها فرصة سـانحة ــ هنا ــ لأُنَاشد معالي الأخ الأستاذ مروان أحمد قَاسـم دَمَّاج ، وزيـر الثقافة ، و معالي الأخ اللواء عيدروس قاسـم الزُّبَيـدي ، محافظ العاصمة عدن ، و معالي الأخ الدكتور ناصر محمد ثابت سـفيان الخُبَّجي ، محافظ محافظة لحج ، و سـعَادَة الأخت الأسـتاذة وردة سـعيد عبد الله البحيري ، المدير التنفيذي لصندوق الـتراث و التنمية الثقافيَّـة ، بـوزارة الثقافة ، بسرعة اسـترجاع إلى والـدي الفنان الكبير الرَّاحـل " فضل محمـد اللحجي " ، اعتباره العظيـم ، و النظر إلى أسرته ، صـوب مـا قَدَّمَه والدنـا ، بعيون اهتمامهم الجاد المسؤول الرَّؤوف ، و إهراعهم حالاً في إصدار توجيهاتهم الصَّريحة بإعـادَة إلينا ، نحن أسرته البسيطة جدَّاً في دخلها المادي اليومي الخـاص الـذي نكدح فيـه ، صرف إعانته الماليَّة الشـهريَّة بعد تسويتها و موافقتهـا مـع تَأريخ مدرسـته الفنية التأريخيَّـة المهمَّة المنيفة ، من خِلال سعيهم الفعلي الدؤوب الحثيث المُخلص الصَّادِق إلى إهدائه أقل تقدير رسـمي يَتمَثَّـل في تكريمه بمنحه درجة " وزير " لإسـتحقاقه الجديرة لها ، و ذلك أسوة بزملائه من شخوص القامات الفنيَّـة الفارعة المُبدعة في الوطن ، الذين هم حتى أتوا من بعده و خَلفوا عهَده الزَّاهر و تَحصَّلوا هم و أسرهم على الدعم و الرعاية من الدولة ، و نلتمـس منهم كذلك اسـتعجال استرداد مستحقات راتبي التعاقدي ، و تثبيتي في العمل جهاز الدولة الإداري بوظيفتي الرَّسمية في وزارة الثقافة ، بمكتبها بمحافظة لحج ، لما أعطاها والدي من تضحيات جسام خسر فيها حياته عشـقاً لازدهار الفن الغنائي المُحافظ الرَّفيع في الجنوب ، و كانت دماءَه الزَّكيَّة المهراقة قرباناً رخيصاً ، مـن أجلَ رفعة شـأن الفن الغنائي الفلوكلوري الجنوبي و انتشار نبراسة راشـداً أصيلاً عالمياً ، لا أن تتم مكافأة أسرته بالحرمـان المكتمِلـة أركانه بخِذلاناته المريرة و التجاهَلات الظالمة الشـاقة ، التي مورست ضدنا و طال أمدها علينا جداً و كذا بالتَخَلي القاهر التَّام عَنَّا ، الذي صار سـيفاً مسلطاً علينا يُكَدِّر صفو حياتنا اليومية ، أكثر من " 50 " عاماً ، في ظل هكذا ظروف مؤلمة نكابدها ، في وقتنا القاسي هذا ، و يعلمها جميع من حولنا)) .